[189] الطالبة لمعرفة أوله، أما على الأول فلأن غاية سير الأفكار هي أو اخر منازل الإمكان ولا محل لسيرها في الأزل حتى يعرف حقيقة الأزلي من حيث الذات والصفات، وأما على الثاني فلأن الأزل عبارة عن عدم الأولية ومن ليس لوجوده أول لم يكن للفكر محل يجول فيه لطلب أوله. (ودوامه ردع لطامحات العقول) الردع: المنع والكف، والعقول الطامحة هي المرتفعة إلى أقصى مدارج كمالها وإدراكها، يعني دوامه الأبدي وبقاؤه السرمدي يمنع العقول الكاملة ويكفها عن الوصول إلى آخره لضرورة أن الشئ المعلوم الوقوع يمنع العاقل من طلب نقيضه. (قد حسر كنهه نوافذ الأبصار) حسر البعير يحسر حسورا أعيى، وحسرته أنا يتعدى ولا يتعدى والأول هو المراد هنا، لأن كنهه فاعله ونوافذ الأبصار مفعوله يعني أعيى وأعجز كنهه الأبصار النافذة العقلية عن إدراكه فإن البصيرة العقلية وإن كانت قوية نافذة إنما تنفذ فيما يمكن نفوذها فيه مما هو في عالم الإمكان، وكنه الواجب خارج عن هذا العالم. (وقمع وجوده جوايل الأوهام) القمع القلع والكسر. والجوائل جمع الجائل يقال: جال واجتال إذا ذهب وجاء، منه الجولان في الحرب، يعني: كسر وجوده الأوهام الجائلة في ميدان معرفة حقيقته لأنك قد عرفت مرارا أن الوهم إنما يدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ووجوده تعالى لما لم يكن محسوسا ولا متعلقا به كان كاسرا لتعلق الأوهام (1) به وبحقيقته. (فمن وصف ا فقد حده) (2) أي من وصفه بكيفيات لائقة بمخلوقاته (3) وصفات زائدة على

_____

1 - قوله: " كان كاسرا لتعلق الأوهام " ليس في كلام امير الؤمنين (عليه السلام) شئ آكد من هذا التنزيه البليغ وردع الأوهام والعقول عن تصور ذاته تعالى، وقد كان يكفي ذكره مرة واحدة إن كان المقصود بيان الواقع فقط ولكن مراعاة قواعد البلاغة وإيراد الكلام مطابقا لمقتضى الحال يقتضي تذكير المخاطب بعد كل كلمة يحتمل ذهاب وهمه منه إلى التشبيه وإن أوجب التكرار، لأن المقام يقتضي التأكيد فقال: البصير لا بأداة، فإن ذهن المخاطب يذهب من البصر إلى العين الباصرة، وقال بعده: السميع لا بتفريق آلة، وهكذا أورد بعد كل كلمة دافعا للوهم، ثم أكد جميع ذلك بأربع جمل في التنزيه وردع الأوهام عن إثبات اللوازم العرفية والعادية، فقد جمع (عليه السلام) بين تفهيم العامة وتقويم الخاصة وتطعيم عقول الكرام وتزميم شراسة الأوهام، وطريقة الأئمة (عليهم السلام) تغاير طريقة الفلاسفة العظام إذ يكتفي الفلاسفة ببيان شئ مرة واحدة غالبا لأن مخاطبهم الخواص، مثلا: يقولون: لا مؤثر في الوجود إلا ا تعالى ويكتفون به، ثم يقولون: الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، ويجعلون الكلام الأول قرينة

على المراد من كلام الثاني وإن كان بينهما فواصل ومقتضى البلاغة أن يصلوا بالكلام الثاني ما يدفع به ذهاب الأوهام إلى بعض لوازم الكلام فيقولوا مثلا: لا يخلق الله تعالى أول ما يخلق إلا أشرف مخلوقه وأقربهم إليه كما ورد: أول ما خلق الله العقل أو اللوح أو القلم أو روح خاتم الأنبياء أو الماء، ومعلوم أن الأول واحد ولا يفعل إلا الأصلح، ومثله قول بعضهم بوحدة الوجود ويذهب الوهم منه إلى لوازم باطلة وكان عليهم إن أرادوا بلاغة الكلام أن يقولوا: هو مع كل شئ أو داخل فيها من غير ممازجة وأمثال ذلك مما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام). (ش) 2 - قوله: " فمن وصف الله فقد حده " في توحيد المفضل: " ان العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ولا _____